قصة وفضائل مريم العذراء

وابنها المسيح عيسى ابن مريم

في القرآن الكريم

وفي أحاديث النبي محمد

صلى الله عليه وسلم

إعداد الباحث: ماجد سليمان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فهذه آيات أنقلها من سورة مريم من القرآن الكريم ، مع شرح موجز لتلك الآيات.

ثم ألحقتها بذكر الأحاديث الواردة عن النبي محمد في فضائل مريم ابنة عمران عليها السلام

ثم ألحقتها بذكر الأحاديث الواردة عن النبي محمد في فضائل المسيح عيسى ابن مريم عليهما جميعا أفضل الصلاة والسلام.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو إطلاع أتباع الأديان الأخرى – لاسيما المسيحيين – على عقيدة المسلمين في المسيح عيسى ابن مريم وأمه مريم بنت عمران عليهما السلام ، حيث أني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع أحد الراهبات أن المسيحيين يظنون أن المسلمين يبغضون المسيح وأمه ، فلما أطْلعتها على كلام الله المذكور في القرآن وكلام النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – في المسيح وأمه قالت لي بصريح العبارة:

(عقيدتكم في المسيح خير من عقيدتنا نحن المسيحيين فيه) ، ثم أعلنت إسلامها.

وفق الله الجميع للعلم النافع والاعتقاد الصالح ، اللهم رب جبرائيل وميكائل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.[١]

ماجد بن سليمان ، في تاريخ ٤ صفر من عام ١٤٣٥ هجري ، الموافق ٧ ديسمبر لعام ٢٠١٣ ميلادي.

---

[١] جبرائيل هو أعظم الملائكة ، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل ، ميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر ، إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء. فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

قال الله تعالى في القرآن الكريم في سورة مريم ذاكرا قصة مريم عليها السلام وابنها المسيح من قبل أن تحمل به إلى أن وضعته:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

شرح الآيات

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾:

لما ذكر الله قصة زكريا وابنه يحيى ، وكانت من الآيات العجيبة ، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها ، تدريجا من الأدنى إلى الأعلى فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} ، وهذا من أعظم فضائلها ، أن تُذكر في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، فتُذكر فيه بأحسن الذكر وأفضل الثناء ، جزاء لعملها الفاضل وسعيها الكامل ، حين {انْتَبَذَت} أي: تباعدت عن أهلها {مَكَانًا شَرْقِيًّا} أي: مما يلي الشرق عنهم.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾:

حجابا أي سترا ومانعا ، وهذا التباعد منها واتخاذ الحجاب لتعتزل وتنفرد بعبادة ربها ، وتقْنُت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى ، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}.

وقوله: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} وهو جبريل عليه السلام ، {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي: كاملا من الرجال ، في صورة جميلة ، وهيئة حسنة ، لا عيب فيه ولا نقص ، لكونها لا تحتمل رؤيته على صورته الحقيقية.

﴿قالت إني أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيا﴾:

فلما رأته في هذه الحال وهي معتزلة عن أهلها خافت أن يكون رجلا يريد أن يتعرض لها بسوء ، ويطمع فيها ، فاعتصمت بربها ، واستعاذت منه فقالت ﴿إني أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيا﴾ ، أي: ألتجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء ، {إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} أي: إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي ، فجمعت مريم بين الاعتصام بربها ، وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى.

وهذا مما يدل على عفة مريم عليها السلام ، وقد أثنى الله عليها بهذه الصفة في القرآن في موضعين فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي **أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} ، وقال {وَالَّتِي **أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}.

فليتأمل القارىء الكريم كيف أن الله كافأ مريم عليها السلام على عفتها عن الزنا بأن رزقها ولدا ، وهو النبي العظيم عيسى عليه السلام ، أرسله الله إلى أمة عظيمة ، وهي بني إسرائيل ، وآتاه الإنجيل فيه هدى ونور.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾:

أي: إنما وظيفتي وشُغلي هو تنفيذ رسالة ربي فيك {لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} ، وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه ، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة ، واتصافه بالخصال الحميدة.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾:

تعجبت مريم عليها السلام من وجود الولد من غير أب ، فقالت: {أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} ، لأنه من المعلوم بالطبائع أن الولد لا يوجد إلا بحصول الاتصال الجنسي ، سواء مع زوج أو عن طريق البغاء وهو الزنا – حاشا مريم عليها السلام من ذلك.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾:

هذا يدل على كمال قدرة الله تعالى ، أن كان الحمل بعيسى أمرا هَيِّـنا على الله ، وليس هذا بغريب على الله ، فالله قادر على كل شيء ، فكما خلق أبانا آدم من غير أب ولا أم ، فكذلك خلق عيسى من أم بلا أب ، ولهذا قال الله تعالى عن خلق آدم ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾.

وكما أن الله خلق أمَّنا حواء من ضِلْـعِ آدم ، فهو الــقادر على خلق عيسى بلا أب ، وليس ذلك على الله بعزيز ، فخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يتفكرون.

قوله {وَرَحْمَةً مِنَّا} أي: ولنجعله رحمة منا بوالدته وبالناس ، فإن عيسى رسول عظيم ، أرسله الله إلى أمة عظيمة وهي بني إسرائيل ، ليدلهم على الخير وعلى طريق الهداية ، ولكن كتابه الإنجيل لم يُحفظ ، فتعرض للتحريف ، فصار إلى ما صار إليه الآن ، من أناجيل تتجاوز المئة بأيدي المسيحيين ، فتغيرت رسالة عيسى الصحيحة من عبادة الله إلى عبادة عيسى ، ومن اعتقاد أن عيسى رسول إلى اعتقاد أن عيسى ابن الله ، وطائفة تقول إنه هو الله ، فلما حصل لبني إسرائيل ما حصل أرسل الله نبيه محمدا ليدل بني إسرائيل وغيرهم على طريق الهداية ، ويبين لهم حقيقة أخيه عيسى عليه السلام ، وما حصل من تلاعب اليهود بدين عيسى وتحريفهم له ، فآمن لمحمد كثير من الناس ، فنالوا شرف الإيمان برسولين ، عيسى ومحمد.

قوله {وَكَانَ} أي وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة {أَمْرًا مَقْضِيًّا} ، أي قضاءً لابد من نفوذه ، فنفَخ جبريل عليه السلام في جيب قميص مريم العذراء عيها السلام ، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها ، فحصل الحمل بسبب ذلك ، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس ، لأنها مُحرَجة ، لا تدري ماذا تقول للناس ، لأنها تعلم أن الناس لن يصدقونها إن قالت أنها حملت بلا زوج.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾:

أي: لما حملت بعيسى عليه السلام خافت من كلام الناس ، لأنهم لن يصدقوا قولها إنها حملت بطريقة مُعجِزة ، أي بدون اتصال جنسي ، وهم يعلمون أنها ليست متزوجة ، فليس أمامهم إلا وصفها بالزنا إن لم يصدقوها ، فتباعدت عن الناس {مَكَانًا قَصِيًّا} ، وهي تحمل في قلبها من الهم ما الله به عليم.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾:

أي: فلما قرُب ولادها دنت من جذع نخلة ، فلما آلمها وجع الولادة ، وتذكرت كلام الناس الذي ينتظرها ؛ تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث وكانت نسيا منسيا فلا تُذكر.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾:

أي ناداها ابنها عيسى ، وهذه معجزة إلهية ثانية ، أن تكلم وهو في المهد ألا تحزني يا أمي ، قد جعل ربك تحتك سريا وهو جدول الماء.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾:

أي وهُزِّي جِذع هذه النخلة ليتساقط عليك البلح طريا لذيذا نافعا.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾:

أي: فَكُلِيْ من التمر وَاشْرَبِيْ من النهر وَقَرِّي عَيْنًا أي اهنئي بعيشِكِ.

وأما من جهة كلام الناس ، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر أن تقول على وجه الإشارة: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} أي: سكوتا {فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} أي: إن رأيتِ من الناس أحدًا فسَألكِ عن أمركِ فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا ، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس ، والسكوت كان تعبدًا في شرعِهم.

فبهذا طمأن عيسى أمه مريم ، فحصلت لها السلامة من ألم الولادة ، وحصل لها المأكل والمشرب وطمأنينة القلب ، فصدق الله وعده فكانا حنانا على أمه مريم عليها السلام منذ ولادته.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾:

فلما طمأن عيسى أمَّه رجَعت إلى قومها غير مبالية ولا مكترثة ، فحصل ما توقعت ، فقالوا: {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} أي: عظيما وخيما ، وأرادوا بذلك البغاء حاشاها من ذلك.

والغريب أن كثير ممن يدَّعي محبة مريم وابنها عيسى واقعين في البغاء ، لاسيما في الدول الغربية ، فلا تكاد تجد امرأة إلا وعندها صديق تعاشره معاشرة الأزواج ، حتى القساوسة والراهبات الذين يزعمون محبة مريم محبة شديدة ويتهمون المسلمين بأنهم لا يحبونهما تجدهم يمارسون الجنس مع بعضهم البعض بطريقة خفية ، مخالفين في هذا أول الآداب التي كانت تتحلى بها مريم عليها السلام وهي عفة الفرج من الزنا.

والعجيب أنهم يفعلون هذا خفية عن عيون الناس ، ويقولون أن عيسى سيتحمل هذا الذنب عنهم ، فهم مُقِرِّين على أنفسهم بهذا الذنب ، ويزعمون أن عيسى سيتحمله عنهم ، مع أنه هو الذنب الذي كانت أمه تتحاشاه جدا ، فمن كان مخلصا وصادقا في محبة عيسى وأمه فينبغي له أن يتحلى بالآداب التي كانا يتحليان بها ، وليس أن يتقحمها ويقول أنهم سيغفرونها لي!

فَمَنِ الأولى بأن يوصف باتباع عيسى ابن مريم وأمه وتوقيرهما؟ المسيحيون أم المسلمون؟!

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾:

{يَا أُخْتَ هَارُونَ} الظاهر أنه أخ لها حقيقي فنسبوها إليه ، وكانوا يُسمُّون بأسماء الأنبياء ، وليس هو هارون بن عمران أخا موسى ، لأن بينهما قرونا كثيرة.

{مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} أي: لم يكن أبواك إلا صالِحَين سالِمَين من الشر ، وخصوصا هذا الشر الذي يشيرون إليه وهو الزنا ، وقصدُهم: فكيف كنتِ على غير وصفهما؟ وأتيتِ بما لم يأتيا به؟

وذلك أن الذرية – في الغالب تتقارب مع بعضها في الصلاح وضده ، فتعجبوا بحسب ما قام بقلوبهم من الظن الفاسد كيف وقع ذلك منها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾:

أي: فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه ، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾:

عندها حصلت المعجزة الكبرى للنبي العظيم عيسى وهي أن تكلم وهو في مهده يرضع: **إني عبد الله ، قضى بإعطائي الكتاب ، وهو الإنجيل ، وجعلني نبيًا.**

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾:

أي: وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾:

أي: وجعلني بارًّا بوالدتي ، ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا ، عاصيًا لربي.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾:

أي: والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ ، ويوم أموت ، ويوم أُبعث حيًا يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾:

ذلك النبي الذي قصصنا عليك صفتَه وخبرَه – أيها الرسول محمد – هو عيسى ابن مريم ، مِن غير شكٍّ ولا مرية.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقِهِ ولدًا ، تنزَّه وتقدَّس عن ذلك ، إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده ، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا ، فإنه لن يمتنع عليه ، وإنما يقول له "كن"، فيكون كما يشاؤه ويريده.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾:

أي: قال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم ، فاعبدوه وحده لا شريك له ، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له ، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾:

فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام ، فمنهم من زاد في تعظيمه على الحد اللائق به كنبي فقال: هو الله ، ومنهم من قال: هو ابن الله ، ومنهم من قال: هو ثالث ثلاثة.

ومنهم من هو جافٍ لعيسى ابن مريم وهم اليهود ، حيث قالوا: إنه ابن زنا (عياذا بالله من هذا الافتراء) ، ومنهم من قال هو ساحر ، فهؤلاء توعدهم الله بعقوبة عظيمة يوم القيامة فقال ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ ، أي عظيم الهول ، وهو يوم القيامة.

﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾:

أي ما أشدَّ سمعَهم وبصرهم يوم القيامة ، يوم يَقْدُمون على الله ، حين لا ينفعهم ذلك ، لكنِ الظالمون اليوم في هذه الدنيا في بُـعدٍ بيِّنٍ عن الحق.

انتهى هنا شرح الآيات من سورة مريم ، وللفائدة فقد تكلَّمت سورة ((آل عمران)) عن جوانب أخرى من سيـرة مريم العذراء عيها السلام من آية ٣٣ إلى آية ٦٠ ، فليرجع إليها من أراد زيادة الاطلا ع.

وهذه بعض أحاديث النبي محمد في فضائل مريم عليها السلام ، أنقلها هنا ، ثم أنقل بعدها بعض أحاديث النبي محمد في أخيه عيسى ابن مريم عليهما جميعا السلام.

تنبيه

سألتني أحد الراهبات – لما كانت راهبة – فقالت: هل المسلمون يحبون عيسى المسيح وأمه العذراء؟

فجاوبتها الإجابة التالية:

بلا شك ولا ريب المسلمون يحبون عيسى المسيح وأمه العذراء ، وما الذي يوجب كراهتهما أصلا ، فالمسلم يحب أنبياء الله كلهم ، وبغضهم أو بغض واحد منهم من نواقض الإسلام ، ودستور المسلمين بين يديكِ ، وهو القرآن ، اقرئي واحكمي بعقلك واتركي كلام الناس جانبا.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

١. قَالَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

«خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ،وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».

خَدِيجَةُ بِنْتُ خوَيْلِدٍ هي زوجة النبي محمد.

قَالَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

«كَمُلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

عَائِشَةَ هي زوجة النبي محمد ، والثريد نوع من أطيب الطعام.

قَالَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

«خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بْنَتُ عِمْرَانَ».

يعني بخير نسائها أي نساء الجنة.

وقالت أُمَّ سَلَمَةَ ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فَاطِمَةَ عَامَ الفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتْ ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ ، فلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا فقَالَتْ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَضَحِكْتُ.

أي أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فهي أعلى منها في المنزلة.

الحديث الأول:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ ، كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ[١] ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى ، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي.

قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ.

قَالَ: لَا ، إِلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ.

ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ[٢] فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ:جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ ، وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ.

الحديث الثاني:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(أنا أولى الناس بابن مريم ، الأنبياء أولاد عَـلاَّت ، ليس بيني وبينه نبي).

---

[١] أي الزواني.

[٢] أي مملوكة.

فقوله (أولاد عَلاَّت) فيه تشبيه للأنبياء بالأبناء من أب واحد وأمهات شتى ، فالأمهات هن الشرائع وفيها يحصل الاختلاف ، والأب هو أصول الاعتقاد وهو الموطن المتفق عليه ، وهو أصول الاعتقاد وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الحديث الثالث:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إذا أدَّب الرجل أَمَته فأحسن تأديبها ، وعلَّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران.

الحديث الرابع:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله).

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والثناء ، كقول إنه هو الله أو ابن الله ونحو ذلك.

النصارى هم أتباع النبي عيسى ابن مريم ، سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم : أنصار أيضا ، كما قال عيسى عليه السلام: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) ، وقيل : إنهم إنما سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة بفلسطين.

الحديث الخامس:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويَفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها).

ثم قال راوي الحديث: واقرءوا إن شئتم : {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا}.

قوله (فيكسر الصليب) أَيْ يُبْطِل دِين النَّصْرَانِيَّة بِأَنْ يَكْسِر الصَّلِيب حَقِيقَةً وَيُبْطِل مَا تَزْعُمهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمه.

قوله (ويضع الجزية) أي لا يقبلها من أحد ، فلا يقبل إلا دين الإسلام.

قوله (ويفيض المال) أي يكثر في زمن نزول عيسى ابن مريم ، وَسَبَب كَثْرَته نُزُول الْبَرَكَات وَتَوَالِي الْخَيْرَات بِسَبَبِ الْعَدْل وَعَدَم الظُّلْم.

قَوْله : (حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)

أَيْ إن الناس حينئذ يَرْغَبُونَ عَنْ الدُّنْيَا ويُعرِضون عنها حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة أَحَبّ إِلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لعلمهم بقرب قيام الساعة.

وفي هذا إشارة أيضا إِلَى صَلَاح النَّاس وَشِدَّة إِيمَانهمْ وَإِقْبَالهمْ عَلَى الْخَيْر ، فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤْثِرُونَ الرَّكْعَة الْوَاحِدَة عَلَى جَمِيع الدُّنْيَا.

قوله تعالى {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا}

أي: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح ، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار ، فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن محمد صلى الله عليه وسلم في نزول النبي العظيم عيسى عليه السلام في آخر هذه الأمة ، يقتل الدجال ، ويضع الجزية ، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين.

ولكن يوم القيامة يكون عيسى شهيدا على من لم يؤمن به الإيمان الصحيح بأنه نبي بشر ، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالمعجزات ، ليس له من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء ، وأنه دعا قومه إلى الإيمان بمحمد فور ظهوره.

وحينئذ يعلم كل عابد لعيسى أنه كان مخطئا ، وأن اتخاذه ربا إلٰها ليس من دين عيسى ولا محمد ولا موسى ولا أي واحد من الأنبياء ، ويندم حين لا ينفع الندم.

الحديث السادس:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ما من مولود يولد إلا نَخَسَهُ الشيطان ، فيستهل صارخا من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمه.

ثم قال راوي الحديث: اقرأوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

قوله (نخسه) أي غمزه في جنبه.

الحديث السابع:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(يَـقتل ابن مريم الدجال بباب لُدْ).

باب (لد) هو باب من أبواب دمشق.

الحديث الثامن:

قَالَ عبد الله بن مسعود أحد أصحاب النَّبِيِّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما كان ليلة أُسرِي برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فتذاكروا الساعة ، فبدءوا بإبراهيم ، فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فـرُدَّ الحديث إلى عيسى ابن مريم قال: قد عُهد إلي

[٣] أي عُرِج به الى السماء.

فيما دون وجبتها ، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله عز وجل ؛ فذكر خروج الدجال – قال: فأنزل فأقتله.

قوله (قد عُهِد إليَّ فيما دون وجـبَتَـها) أي أن الله أنبأه ما يحدث قبل حلولها.

الحديث التاسع:

قال النَّبِيُّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: سَرَقْتَ؟

فقَالَ : كَلا وَالَّذِي لا إله إِلا هُوَ.

فَقَالَ عِيسَى : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ بَصَرِي.

خاتمة

تم الكتاب بحمد الله ، وفيما يلي أسماء بعض المراجع العلمية لمن أراد مزيد بحث واطلاع في هذا الموضوع وغيره ، وهي منشورة كلها في موقع «الدين الواضح» www.saaid.net/The-clear-religion :

١. التغير التدريجي في رسالة عيسى ابن مريم الصحيحة على مدى ٢٠ قرنا

٢. مهلا أيها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

٣. أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم

٤. الدلائل العشرة على نبوة محمد بن عبد الله – نبي الإسلام

٥. خمسون دليلا على عظم قدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

٦. تفسير سورة الاخلاص

٧. عقيدة المسلمين

٨. الغاية من الخلق

٩. شعب الإيمان

١٠. أضواء على قول الله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾

١١. سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

١٢. معاملة المرأة في الإسلام وحقوقها

تم الكتاب بحمد الله ، في الرابع من شهر صفر لعام ١٤٣٥ هجري ، الموافق ٧ ديسمبر لعام ٢٠١٣ ميلادي

ماجد بن سليمان